الثغر الباسم من حلى المعاصم

تـــألـــيـــف

العلامة القاضي سيـــدي أحمد سكيرج
رحمـــــه الله و رضي عنه

تحقيق
ذ: محمد الراضي كنون الحسني الإدريسي

رقم الإيداع القانوني	97/1326
ردمك	9981 - 153 - 02 - 8
حقوق الطبع محفوظة	
مطبعة	
المؤلف	محمد الراضي كنون
الهاتف	01 39 21 98
	07 65 14 00

الثغر الباسم من حلي المعاصم[1]

بسم الله الرحمن الرحيم   و صلى الله على سيدنا محمد و آله و صحبه و سلم تسليما

الحمد لله يحكم بالعدل قطعا. و يجزي كل نفس بما تسعى. و إليه المعاد و الرجعى. والصلاة والسلام على أفضل من أوتي الحكمة و فصل الخطاب. و على آله و جميع الصحاب. و من تبعهم بإحسان إلى يوم الحساب. و بعد فهذه حواش لطيفة. و فوائد منيفة. و فرائد شريفة. ترتاح بها النفوس. و تتحلى بها الطروس. و تتزين بها الدروس. جعلتها على شرح العلامة المحقق. الدراكة المدقق. أبي عبد الله سيدي محمد التاودي بن سودة[2]. على منظومة الإمام بن عاصم المسماة: حلي المعاصم على بنات أفكار ابن عاصم. و سميتها الثغر الباسم من حلي المعاصم. و الله المسؤل أن يجعلها لوجهه خالصة. و عن كل ما يسخط المولى قالصة. إنه ولي ذلك و القادر عليه. قول توي **بسم الله الرحمن الرحيم:** اعلم أن الكلام على البسملة أفرد بتآليف عديدة. في بابها مفيدة. فلا نطيل هنا بما هو مشهور. و في الحواشي و الشروح المتداولة مسطور. و هي وإن كان الكلام عليها طويل الذيل. فما لا يدرك كله لا يترك بعضه أو جله. أداء لحقين.

الأول حق البسملة على الطالب في الفن المشروع فيه. فقد نص العلماء على أنه ينبغي له أن يتكلم على البسملة بما يناسبها في ذلك الفن. لأن جميع العلوم بها مرتبطة. **الثاني** حق الفن عليه ليلا يخلو الفن من شيء من بركتها، فقد ورد في الحديث عنه عليه السلام أنه قال: كل أمر ذي بال لا يبدأ فيه ببسم الله الرحمن الرحيم

---

[1] من عداد مؤلفاته غير التامة، ابتدأ في كتابته له بتاريخ 5 جمادى الثانية عام 1325 هـ.

[2] محمد التاودي ابن سودة المري، من أبرز علماء عصره، له مؤلفات كثيرة، توفي في شهر ذي الحجة الحرام سنة 1209 هـ. أنظر ترجمته في شجرة النور الزكية لمخلوف 1: 533_534 رقم الترجمة 1497. الإعلام بمن حل مراكش و أغمات من الأعلام 6: 136. الروضة المقصودة في مآثر بني سودة، لسليمان الحوات، في جزءين، سلوة الأنفاس، لمحمد بن جعفر الكتاني 1: 112. الأعلام للزركلي 7: 40. معجم المؤلفين 1: 125. فهرس الفهارس، لعبد الحي الكتاني 1: 256.

فهو أجذم. و في رواية أقطع. و في رواية أبتر[1]. و ذلك كناية عن عدم الإنتفاع بما لم يذكر إسم الله عليه. لنقصانه في المعنى. و لو تم حسا. فأقول: ذكر بعضهم أن السر في الإتيان بالاسم بين. و اسم الجلالة هو الفرق بين اليمين و التيمن. و ينظر في هذا قول البغدادي في اختصار قواعد القرافي ما نصه: قال صاحب الخصال الأندلسي[2]: يجوز الحلف بقولك بسم الله، و تجب به الكفارة. قال القرافي: هذه المسألة فيها جور. بسبب أن الإسم هاهنا إن أريد به المسمى استقام الحكم، و إن لم يرد به المسمى فقد حكى ابن السيد البطليوسي أن العلماء اختلفوا في لفظ الإسم هل هو موضوع للقدر المشترك بين أسماء الذوات فلا يتناول إلا لفظا هو إسم أو وضع في اللغة للقدر المشترك بين المسميات فلا يتناول إلا مسمى، إلى أن قال: و إذا فرعنا على هذا وقلنا الإسم موضوع للقدر المشترك بين الأسماء و أن مسماه لفظ حينئذ فينبغي أن لا تلزم به كفارة إذا حلف به. و أن لا يجوز الحلف به إلى أن قال: و إن قلت هو موضوع للقدر المشترك بين المسميات و القاعدة أن الدال على الأعم غير دال على الأخص وما يكون كذلك لا يحلف به. و لا يكون قسما إلا بنية أو عرف ناقل. و لا واحد منها هاهنا. فلا تجب كفارة إذا لم يتعين صرف اللفظ لله تعالى[3].إهـ..

و اسم الجلالة اختلف فيه هل هو مشتق أو لا؟ و القول بعدم اشتقاقه أولى. و اتفق قول جماعة على أن أصله إله أسقطت منه الهمزة، ثم أبدلت بأل. فلذلك لا تزال منه في النداء كما في الألفية:

و باضطرار خص جمع يا و أل　　　إلا مع الله و محكي الجملْ[4]

قال ابن جرير الطبري بعد أن ذكر نحو ذلك من أن اسم الجلالة الله من كلام العرب أصله الإله ما نصه: فإن قال قائل: و كيف يجوز أن يكون ذلك كذلك مع اختلاف لفظيهما. قيل كما جاز أن يكون قوله: لكن هو الله ربي[5]، أصله لكن أنا الله ربي، كما قال الشاعر:

و ترمينني بالطرف أي أنت مذنب　　　و تقلينني لكن إياك لا أقلي

---

[1] سبق تخريج هذا الحديث ضمن هذا الجزء ص

[2] محمد بن مسعود بن طيب بن فرج بن أبي الخصال الغافقي الأندلسي. شاعر أديب وزير، يلقب بذي الوزارتين. له مؤلفات كثيرة منها: ظل الغمامة. و منهاج المناقب. و مجموعة ترسله و شعره (في خمس مجلدات) و غيرها. توفي بقرطبة سنة 540 هـ. أنظر ترجمته في الأعلام للزركلي 7: 95. جذوة الإقتباس، لابن القاضي 1: 257 رقم الترجمة 263.

[3] أنظر أنوار البروق في أنواع الفروق، للقرافي (الفرق 127) بين قاعدة ما يوجب الكفارة إذا حلف به من أسماء الله تعالى، و بيان قاعدة ما لا يوجب. 3: 59.

[4] البيت من ألفية ابن مالك، و هو البيت رقم 583.

[5] سورة الكهف، الآية 38.

يريد (لكن أنا إياك لا أقلي) فحذف الهمزة من (أنا) فالتقت نون (أنا) و نون (لكن) وهي ساكنة. فأدغمت في نون أنا. فصارتا نونا مشددة، فكذلك الله أصله الإله، أسقطت الهمزة التي هي فاء الإسم، فالتقت اللام التي هي عين الإسم و اللام الزائدة التي دخلت مع الألف الزائدة. و هي ساكنة، فأدغمت في الأخرى التي هي عين الإسم، فصارتا في اللفظ لامًا واحدة مشددة، كما وصفنا من قول الله عز و جل: لكن هو الله ربي[1]. إهـ..

تنبيه ذكر بعضهم أن هذا الإسم إذا خلا عن المد الطبيعي في اللفظ لا تنعقد به اليمين. و لا يجزئ في تكبيرة الإحرام. لأنه لحن جلي. و أما ما ورد في كلام العرب مما يقتضي جواز عدم المد فهو محمول على الضرورة، و ذلك مثل قول الشاعر:

قد جاد سيل جاء من عند الله   بجود جود الجنة المغله

و قول الآخر:

ألا لا بارك الله في سهيل   إذا ما الله بارك في الرجال

و الذي تحصل لي عندي أن اليمين تنعقد به لأنها على نية المستحلف طبق ما قيل في غير ما تنعقد به فضلا عن هذا الإسم، و حذف مده لغة لا معنى لجعله ضرورة، وهو في كلام العرب وإلا فكل ما جاء في النظم يصح إدعاء ضروريته. و الرحمان الرحيم صفتان لإسم الجلالة. و قيل الأول بدل. لأنه علم. و اختاره جمع من علماء العربية. و الرحمن عربي الوضع. و قيل معرب الرخمان. بالخاء المعجمة من اللغة العبرانية، و اختلف هل هو مشتق، كما اختلف أيضا في الرحيم، و التحقيق أن الأسماء غير مشتقة من شيء. و يدل لهذا حديث قدسي: إني أنا الرحمن لا إله إلا أنا خلقت الرحم و شققت لها إسما من إسمي. فمن وصلها وصلته. و من قطعها قطعته[2].

وقدم إسم الجلالة عليهما لأن جميع الخلائق تعرفه بأنه هو الله. قال تعالى و لئن سألتهم من خلقهم ليقولن الله[3]، و أما قول بعضهم قدم لدلالته على الذات فيقال عليه إسم ما بعده يدل عليها أيضا اللهم إلا إذا قصد الإختصاص به فنعم، لكن قولهم الرحمن إذا كان معرفا مختص بالله يعكر في توجيه التقديم، و الصواب غير مختص به كما ستعرفه.

---

[1] أنظر جامع البيان في تفسير القرءان، للطبري، سورة الفاتحة. الآية الأولى، بسم الله الرحمن الرحيم.

[2] أنظره في مسند الإمام أحمد (حديث عبد الرحمن بن عوف) 1: 313 رقم 1671، رقم 1692، رقم 1693، رقم 1698 سنن الترمذي (كتاب البر و الصلة) باب ما جاء في قطيعة الرحم رقم 1911. مجمع الزوائد، للهيثمي (كتاب البر و الصلة) باب صلة الرحم و قطعها 8: 275 رقم 13447.

[3] سورة الزخرف، الآية 87.

قال الإمام ابن جرير فيما حدثه به عمران بن بكار الكلاعي قال: حدثنا يحيى بن صالح قال: حدثنا أبو الأزهر نصر بن عمر اللخمي من أهل فلسطين قال: سمعت عطاء الخراساني[1] يقول: كان الرحمن، فلما اختزل الرحمن من اسمه كان الرحمن الرحيم. و الذي أراد إن شاء الله عطاء بقوله هذا: أن الرحمن كان من أسماء الله التي لا يتسمى بها أحد من خلقه، فلما تسمى به الكذاب مسيلمة و هو اختزاله إياه يعني اقتطاعه من أسمائه لنفسه، أخبر الله جل ثناؤه أن إسمه الرحمن الرحيم ليفصل بذلك لعباده اسمه من اسم من قد تسمى بأسمائه. إذا كان لا يسمى أحد الرحمن الرحيم، فيجمع له هذان الاسمان غيره جل ذكره. و إنما تسمي بعض خلقه إما رحيما أو يتسمى رحمانا، فأما رحمان رحيم فلم يُجْمَعَا قط لأحد سواه. و لا يجمعان لأحد غيره. فكأن معنى قول عطاء هذا: أن الله جل ثناؤه إنما فصل بتكرير الرحيم على الرحمن بين إسمه و اسم غيره من خلقه، اختلف معناهما أو اتفقا. و الذي قال عطاء من ذلك غير فاسد المعنى بل جائز أن يكون جل ثناؤه خص نفسه بالتسمية بهما معا مجتمعين إبانة لها من خلقه ليعرف عباده بذكرهما مجموعين أنه المقصود بذكرهما دون من سواه من خلقه. مع ما في تأويل كل واحد منهما من المعنى الذي ليس في الآخر منهما. و قد زعم بعض أهل الغباء أن العرب كانت لا تعرف الرحمن و لم يكن ذلك في لغتها. ولذلك قال المشركون للنبي صلى الله عليه و سلم: و ما الرحمن أنسجد لما تأمرنا[2]. إنكارا منهم لهذا الإسم. كأنه كان محالا عندهم أن ينكر أهل الشرك ما كانوا عالمين بصحته. أو كأنه لم يتل من كتاب الله قول الله: الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه[3]. يعني محمدًا كما يعرفون أبناءهم. و هم مع ذلك به مكذبون. و لنبوته جاحدون، فيعلم بذلك أنهم قد كانوا يدافعون حقيقة ما ثبت عندهم صحته. و استحكمت لديهم معرفته. و قد أنشد لبعض الجاهلية الجهلاء

ألا ضربت تلك الفتاة هجينها   ألا قضب الرحمن ربي يمينها[4]

و قال سلامة بن جندل الطهوي[5]:

---

[1] عطاء بن ميسرة الخراساني، مفسر، له مؤلفات، توفي ببيت المقدس سنة 135 هـ، أنظر ترجمته في الأعلام، للزركلي 4: 235. شذرات الذهب، لابن العماد 1: 192.

[2] سورة الفرقان، الآية 60.

[3] سورة البقرة، الآية 146.

[4] البيت للشاعر الجاهلي عمرو بن مالك الأزدي الشنفري، المتوفي حوالي سنة 70 قبل الهجرة.

[5] سلامة بن جندل بن عبد عمرو التميمي، شاعر جاهلي، من أهل الحجاز، توفي حوالي سنة 23 قبل الهجرة، له ديوان شعري. أنظر ترجمته في الأعلام للزركلي 3: 106. معجم المطبوعات، لسركيس 1037. الشعر و الشعراء، لابن قتيبة 87.

عجلتم علينا عجلتينا عليكم و ما يشاء الرحمن يعقد و يطلق[1]

إهـ...[2] و اعلم أن الشارح رحمه الله و جماعة من شراح هذا النظم لم يتكلموا على بسملة الناظم حتى كأنه لم يبتدأ بها نظمه و ذلك منهم رحمهم الله إما سهو و إما اختصار و اكتفاء عن ذكر ما هو مقرر في غير ما تأليف و الله أعلم.

قوله **الحمد لله** لا يخفى أن الشارح بسط بعض كلام على الحمد لله من كلام الناظم، فلا فائدة في تكرار ذلك إلا لزيادة إيضاح، و ذلك يأتي إن شاء الله في تعرضه للكلام على ذلك. إلا أننا نقول أتى الشارح هنا بهذه الجملة اقتداء بالكتاب العزيز. و امتثالا للأمر المقدر على بعض التأويلات في حمدلة الفاتحة. مع الإشارة إلى استغراق جميع المحامد لله بهذه الجملة المصورة بأل. قال الإمام ابن جرير: فإن قال لنا قائل و ما وجه إدخال الألف و اللام في الحمد؟ و هلا قيل: حمدا لله رب العالمين، قيل لدخول الألف و اللام في الحمد معنى لا يؤديه قول القائل حمدا بإسقاط الألف و اللام. و ذلك أن دخولهما في الحمد منبئ على أن معناه جميع المحامد و الشكر الكامل لله. و لو أسقطتا منه لما دل إلا على أن حمد قائل ذلك لله، دون المحامد كلها، إلى أن قال: حمد الله نفسه وأثنى عليها بما هو له أهل، ثم علَّم ذلك عباده، و فرض عليهم تلاوته، اختبارا منه لهم و ابتلاء، فقال لهم: قولوا (الحمد لله رب العالمين) و قولوا (إياك نعبد و إياك نستعين) إلى أن قال: فإن قال: و أين قوله: (قولوا) فيكون تأويل ما ادعيت. قيل: قد دللنا فيما مضى أن العرب من شأنها إذا عرفت مكان الكلمة و لم تشك أن سامعها يعرف بما أظهرت من منطقها ما حذفت حذف ما كفي منه الظاهر من منطقها، و لا سيما إن كانت تلك الكلمة التي حذفت قولا أو تأويل قول كما قال الشاعر:

و أعلم أنني سأكون رمسا إذا سار النواعج لا يسير
فقال السائلون لمن حفرتم فقال المخبرون لهم وزير

قال أبو جعفر: يريد بذلك: فقال المخبرون لهم: الميت وزير، فأسقط (الميت) إذا كان قد أتى من الكلام بما يدل على ذلك[3]. إهـ...

قوله **الحكم، لله** در الشارح في هذه الخطبة. فقد طرزها من فن البديع ببراعة الإستهلال، و هي أن يأتي المتكلم في أول كلامه بما يشعر بمقصوده بفتحتين لغة في الحاكم، و منه قول الفرزدق:

---

[1] البيت للشاعر الجاهلي سلامة بن جندل الطهوي، من قصيدة قافية افتتحها بقوله:
لمن طَلَلٌ مثل الكتاب المنمق خلا عهدُهُ بين الصُلَيْبِ فَمُطْرِقِ

[2] أنظر جامع البيان في تفسير القرءان، للطبري، سورة الفاتحة، الآية 1، بسم الله الرحمن الرحيم.

[3] أنظر جامع البيان في تفسير القرءان، للطبري، سورة الفاتحة، الآية 2، الحمد لله رب العالمين.

ما أنت بالحكم الترضى حكومته   و لا الأصيل و لا ذي الرأي و الجدل

و هو يطلق على الله، و على كل من له حكومة، و قالت الخوارج: لا حكم إلا الله حين خرجوا على سيدنا علي رضي الله عنه. بعدما كانوا من أصحابه، فلما سمع بذلك رضي الله عنه قال: كلمة حق أريد بها باطل[1]. و إنما مذهبهم أن لا يكون أمير. و لا بد من أمير برا كان أو فاجرا. وقضية التحكيم مشهورة فلا نطيل بذكرها.

قوله: **العدل** مصدر في الأصل بمعنى عادل. و يقال رجل عدل رضي و مقنع في الشهادة. و سئل العارف بالله القطب الرباني سيدنا و مولانا أحمد التجاني. نفعنا الله به و سقانا من بحره العرفاني. عن معنى هذا الإسم، فأجاب رضي الله عنه بقوله كما في جواهر المعاني: العدل الإلاهي هو إعطاؤه لكل شيء من نفسه على طبق ما سبق له في العلم الأزلي. بميزان يستحيل عليه النقص والزيادة، فهذا معنى اسمه العدل هـ.

قوله: **لا معقب لحكمه و لا مرد لقضائه** في بعض النسخ و لا راد. إلخ.. و القضاء بمعنى الحكم. وتعقب الحكم هو البحث فيه للقبول أو الرد. و الله تبارك و تعالى منزه عمن يبحث في أقواله ويردها عليه. فحكمه نافذ لا يسئل عما يفعل.

قوله: **على أفضل من أوتي الحكمة.** إلخ.. من المعلوم أن الله تبارك و تعالى كما في نص الكتاب يوتي الحكمة من يشاء، و من يوت الحكمة فقد أوتي خيرا كثيرا[2]. و لا يخفى أن من أوتي الحكمة فهو أفضل ممن لم يوتيها. و النبي صلى الله عليه و سلم أفضل من أوتيها، و قد تكلم كثير من العلماء في اشتقاق الحكمة و تفسيرها. و سنذكر هنا شيئا من كلامهم فأقول:

إذا كان شكري نعمة الله نعمة   علي له في مثلها يجب الشكـــر
فكيف بلوغ الشكر إلا بفضلـه   و إن طالت الأيام و اتصل العمر[3]

و قول الناظم **و من جزيل طوله يؤتى الحكم.** الجزيل في المختار[4] الجزيل العظيم، وعطاء جزل و جزيل، و أجزل له في العطاء أي أكثر هـ و الطول بالفتح المن، يقال طال عليه من باب، قال وتطول عليه أي امتن عليه. و معنى يوتى يعطى، يتعدى

---

[1] من حديث طويل رواه الإمام مسلم في صحيحه (كتاب الزكاة) باب التحريض على قتل الخوارج رقم 2421.
[2] سورة البقرة، الآية 229.
[3] البيتان للشاعر محمود بن حسن الوراق، أحد شعراء العصر العباسي، قالهما في مطلع أربع أبيات، و تتمتها كالتالي:
إذا مس بالسراء عم سرورها   و إن مس بالضراء أعقبها الأجر
و ما منهما إلا له فيه نعمـــة   تضيق بها الأوهام و البر و البحر
[4] إشارة لكتاب مختار الصحاح (في اللغة) للعلامة محمد بن أبي بكر الرازي.

لمفعولين المفعول الأول هو الحكمة، و الثاني محذوف تقديره من يشاء. و حذف المعمول يوذن بالعموم. و الحكم جمع حكمة. و في تفسير الحكمة أقوال. فجمهور المفسرين أن المراد بها الفقه في قوله تعالى: يوتي الحكمة من يشاء. الآية.. والأصح أنها العلم النافع. و قيل الحكمة الموعظة. و لذلك لقب سيدنا لقمان بالحكيم. سواء كانت الموعظة من شعر أو غيره من الأقوال. و من الأول قوله صلى الله عليه وسلم: إن من الشعر لحكمة[1]. و قيل الحكمة هي العمل بالعلم أو ما ينشأ عنه من الذوق. فالحكمة مقامها أعلى من العلم و من العمل به. و قد أجاد القائل في قوله:

إنما المرء كالزجاجة و العـــــــــلم سراج و حكمة الله زيــت
فإذا أسرجت فإنك حــــي   و إذا أظلمت فإنك ميت[2]

و قيل الحكمة هي علم الله و حكمه. و قال الشيخ الأزهري في شرحه للبردة عند قولها:

و كلهم من رسول الله ملتمس   غرفا من البحر أو رشفا من الديم
وواقفون لديه عند حـــــدهم   من نقطة العلم أو من شكله الحكم[3]

الحكم بكسر الحاء و فتح الكاف جمع حكمة بفتحتين. مأخوذ من حكمة اللجام. لأنها تمنع الفرس من الجماح. و يسمى العالم حكيما لأنه يمنع من الخطأ. إهـ.. و قيل الحكمة هي إحكام الأحكام بالعقول. وتصحيح المنقول بالمعقول. و هذا مذهب الفلاسفة. و يقال فيهم الحكماء. و حكمت المعتزلة العقل. وقال الإمام فخر الدين الرازي: الحكمة عند الماتريدية بمعنى إتقان العمل. أي خلق كل شيء على ما هو به، ووضعه في محله اللائق به صفة أزلية لله تعالى. و من هنا قالوا: أفعاله تعالى لا تخلوا عن حكمة. بمعنى ما له عاقبة و ضدها السفه. و ذهبت الأشعرية إلى أن الحكمة بالمعنى الأول ليست صفة أزلية لله تعالى، لأنها تؤل إلى كونها صفة فعل. وصفات الأفعال عندهم حادثة، و فسروا الحكمة اللازمة لأفعاله تعالى بوقوع الشيء على قصد فاعله. وضدها السفه. و على هذا الإختلاف في تعليل قوله تعالى: لا يسأل عما يفعل[4].

---

[1] أنظره في صحيح ابن حبان (باب الشعر و السجع) ذكر البيان بأن عموم هذا الخطاب في خبر أبي هريرة أريد به بعض ذلك العموم لا الكل 5: 380 رقم 5680. مجمع الزوائد، للهيثمي (كتاب الأدب) باب إن من الشعر حكمة 8: 228 رقم 13324، رقم 13325، رقم 13326، رقم 13327. مسند الطيالسي (أحاديث أبي بن كعب) 1: 76 رقم 556، رقم 557.

[2] البيتان للفيلسوف الشهير ابن سينا، افتتحهما ببيت ثالث لم يذكره المؤلف و هو:

هذب النفس بالعلوم لترقى   و خذ الكل فهي للكل بيت

[3] البيتان للعارف بالله الشيخ محمد بن سعيد البوصيري، قالهما ضمن قصيدته المعروفة بالبردة، و رقمهما 38 و 39.

[4] سورة الأنبياء، الآية 23.

فعند الماتريدية[1] لأنه حكيم بمعنى أنه يفعل ما له عاقبة حميدة. و إن كنا نجهل حمد عاقبة بعض أفعاله. و عند الأشعرية لأنه المالك المطلق. و المالك المطلق يفعل كيف يشاء. و لا يسأل عما يفعل. إهـ..

و لكل من الفريقين وجهة. فالماتريدية على قدم روح الله عيسى عليه السلام حيث قال: إن تعذبهم فإنهم عبادك، و إن تغفر لهم فإنك أنت العزيز الحكيم[2] لم يمدحه على التعذيب، و مدحه على المغفرة، حيث أن الحكمة للعزيز القادر تقتضي المغفرة لأولئك المذنبين، و وجهه أن معاقبة المذنب إنما هي لردعه عن العود لمثل ذلك الذنب، أو لزجر غيره عن الوقوع لمثله، أو للتشفي من الذنب، و في الآخرة لا يتأتى عود المذنب لذنبه. و لا اقتراف غيره مثله. و لا فائدة للباري تعالى في تعذيب من خلقهم ضعافا. و صرح بذلك حيث قال: و خلق الإنسان ضعيفا[3]. ووضع فيهم الشهوة. و جعلها غالبة على عقولهم. فضلا عن كونه قدَّر ذلك عليهم أزلا. والأشعرية على قدم كليم الله موسى عليه السلام. حيث قال: إن هي إلا فتنتك[4] و لم يرد الباري عليه. إهـ... من شروح عبد الرؤوف المناوي المتوفي سنة 1031هـ على قصيدة النفس[5] لابن سينا. و قال الشيخ ابن قرقماس[6] عند التكلم على اسم الله الحكيم ما ملخصه: واعلم أن الحكمة عبارة عن كونه مقدسا عن فعل ما لا ينبغي، قال تعالى: أفحسبتم أنما خلقناكم عبثا و أنكم إلينا لا ترجعون[7] وقال: ما خلقنا السماء و الأرض وما بينهما باطلا[8]، قالت المعتزلة: إذا كانت كل المنكرات بإيجاده وإرادته، فأين الحكمة؟ قلنا الباطل هو التصرف في ملك الغير، فمن تصرف في ملك نفسه فأي فعل فعله كان حكمة، و اعلم بأن الحكيم و الحكمة عبارة عن معرفة أفضل الأشياء. وأفضل العلوم العلم بالله. و أجل الأشياء هو الله تعالى. و لا يعرف كنز معرفته غيره. و جلالة العلم بقدر جلالة المعلوم، فهو الحكيم الحق. لأنه يعلم أجل الأشياء بأجل العلوم. إذ أجل العلوم هو العلم الأزلي الدائم. الذي لا يتصور زواله المطابق للمعلوم مطابقة لا يتطرق إليه خفاء و لا شبهة. و لا يتصور بذلك إلا علم الله عز و جل.

---

[1] الماتريدية فرقة كلامية تنسب للشيخ محمد بن محمد بن محمود الماتريدي السمرقندي نشأت هذه الفرقة عند مطلع القرن الرابع الهجري و قامت على استخدام البراهين و الدلائل العقلية والكلامية في محاجة خصومها من الفرق الضالة كالمعتزلة و الجهمية و غيرهما و استطاعت الإنتشار في بلدان مختلفة من العالم الإسلامي و احتلت به مكانة سامية لدى كبار الفقهاء.

[2] سورة المائدة، الآية 118.

[3] سورة النساء، الآية 28.

[4] سورة الأعراف، الآية 155.

[5] قصيدة النفس للفيلسوف الشهير ابن سينا، تقع في 19 بيتا، قال في مطلعها:

هبطت إليك من المحل الأرفع ورقاء ذات تعزز و تمنـــــع
محجوبة عن كل مقلة عـارف و هي التي سفرت و لم تتبرقع

[6] المراد به الشيخ محمد بن قرقماس الناصري، صاحب كتاب: المقامات الفلسفية و الترجمانات الصوفية، توفي سنة 882 هـ، بموطنه القاهرة، و بها دفن، أنظر ترجمته في الأعلام للزركلي 7: 10.

[7] سورة المومنون، الآية 115

[8] سورة ص، الآية 27

فمن حكمته التي لا يعرف وجهها ولا كنهها إلا هو تخصيصه قوما بالسعادة في الأزل من غير سبب سابق. و تخصيصه قوما بالشقاوة في الأزل من غير سبب سابق أيضا. بل جف عليهم القلم في حق الفريقين بما تعلق به العلم القديم. و إليه الإشارة بقوله تعالى: أولائك الذين لم يرد الله أن يطهر قلوبهم[1]، و قوله تعالى في حق ابن باعورا[2]: و لو شئنا لرفعناه بها[3]. جاء في قصته أنه كان يرى من الثرى إلى ملكوت السماوات. و كان يعرف الإسم الأعظم. ثم قال في حقه: فمثله كمثل الكلب[4]. فانظر كيف أبرَزه في صورة أوليائه. ثم لما كان من خفي حكمته أنه من أعداء الله قال في حقه اخرا: فمثله كمثل الكلب. و كلب أصحاب الكهف لما كان من خفي حكمته أن يكون من جملة أوليائه. و زمرة أصفيائه. أبرزه في صورة الكلب، ثم قال في حقه: ورابعهم كلبهم[5]. وجعله في تعدادهم. و قال جل و علا: و كلبهم باسط ذراعيه بالوصيد[6]. دل أنه لا عبرة بالخلقة ولا اعتماد بالصورة. بل بالعبرة لسابق الحكم والحكمة.

و قال أبو علي الدقاق[7]: لما صرفوا ذلك الكلب و لم ينصرف أنطقه الله و قال: لما تصرفوني. إن كانت لكم إرادة فلي أيضا إرادة. و إن كان خلقكم فقد خلقني. فازدادوا بكلامه إيمانا. و في قوله: وربطنا على قلوبهم إذ قاموا[8]. فقالوا: إرادته زيادته يقينهم بكلام الكلب. ثم أنهم لما سمعوا كلامه اتفقوا على استصحابه معهم. إلا أنهم قالوا يستدل علينا بأثار أقدامه. فالحيلة أن نحملوه. فحمله الأولياء على أعناقهم و هم يمشون. و هذا عندما أدركته العناية الأزلية حملته أولياء الله على أعناقهم. و تناوبوا حمله. و الحظ إبليس الذي لم يكن في الملائكة أعلا قدرا و لا أجل رتبة منه. فلما كان في حكم الأزلي شقاوته سابقة. فلما ظهر فيه الحكم أبعد و لعن و طرد من رحمته عن حسن خلقة الملائكة إلى أقبح صورة الشيطانية. فلعنه من يعرفه و من لم يعرفه. فنسأل الله حسن الخاتمة. إهـ...

---

[1] سورة المائدة، الآية 41.
[2] بلعم بن باعورا، كان من كبار علماء بني إسرائيل، قيلت فيه أقوال كثيرة، من ذلك ما جاء في الدر المنثور في التفسير بالمأثور، للسيوطي. قال: و أخرج ابن المنذر و ابن أبي حاتم عن مالك ابن دينار قال: بعث موسى نبي الله بلعم بن باعورا إلى ملك مدين يدعوهم إلى الله، و كان مجاب الدعوة، و كان من علماء بني إسرائيل، فكان موسى يقدمه في الشدائد، فأقطعه و أرضاه، فترك دين موسى و تبع دينه، فأنزل الله: و اتل عليهم نبأ الذي آتيناه آياتنا فانسلخ منها. إهـ.. أنظر الدر المنثور، للسيوطي. سورة الأعراف، الآية 175.
[3] سورة الأعراف، الآية 176.
[4] سورة الأعراف، الآية 176.
[5] سورة الكهف، الآية 22.
[6] سورة الكهف، الآية 18.
[7] الحسن بن علي بن محمد الدقاق النيسابوري الشافعي، فقيه صوفي أصولي، من آثاره: كتاب الضحايا. توفي سنة 405 هـ، أنظر ترجمته في معجم المؤلفين، لكحالة 3: 261. شذرات الذهب، لابن العماد 3: 180_181. كشف الظنون، لحاجي خليفة 2: 1434.
[8] سورة الكهف، الآية 14

فالحظ قدر هذه الفائدة أيها الطالب و استحضر ذهنك في تحصيلها. و على الله قصد السبيل. و قيل الحكمة هي التوغل في سر الربوبية المعنى بقول بعض الكمال:

يا رب جوهر علم لو أبوح بــه	لقيل لي أنت ممن يعبد الوثنا
و لا استحل رجال مسلون دمي	يرون أقبح ما يأتونه حسنـــا[1]

و قيل الحكمة هي تحصيل التصرف بالأسماء و الظفر بسر الطب و الكيمياء. و هذا التفسير مع ما قبله قيل هو المقصود بقوله عليه السلام: لا تمنحوا الحكمة غير أهلها فتظلموها و لا تمنعوها أهلها فتظلموهم[2]. و الحق أنها تفسر في كل مقام بحسبه. ويكفيك في الإغراء على تحصيلها قوله تعالى: من يوت الحكمة فقد أوتي خيرا كثيرا [3]. و عنه صلى الله عليه و سلم أنه قال: الحكمة تزيد الشريف شرفا و ترفع المملوك حتى تجلسه مجالس الملوك[4]. و الله الموفق.

ثم اعلم أن في هذا البيت الذي هو مطلع هذه الأرجوزة فائدتان. الفائدة الأولى تتعلق بقوله يوتي الحكمة. و الثانية من قوله: من جزيل طوله. أما الأولى ففيه من أنواع البديع الإقتباس لأنه مقتبس من قوله تعالى يوتي الحكمة من يشاء الآية. و الإقتباس كما في التلخيص و شرحه أن يضمن الكلام نثرا أو نظما شيئا من القرآن أو الحديث. أي على وجه لا يكون فيه إشعار بأنه من قرآن أو حديث. إهـ...

و خصه بعضهم بالقرآن دون غيره و لو كان حديثا. و يجوز الاقتباس ببعض التغيير كما فعل الناظم. و ليس فيه نقل القرآن بالمعنى كما يظن. لأنه لم يقل فيه قال الله ما معناه. إذ هذا غير جائز قطعا. كما نص عليه الشيخ الزرقاني عن بعض شيوخه. والإقتباس عندهم على ثلاثة أقسام. القسم الأول محمود مقبول. و هو ما كان في

---

[1] البيتان لسيدي علي زين العابدين رضي الله عنه، و للشيخ العارف بالله الحلاج بيتان على هذه الشاكلة، غالبا ما يذكران مع هذين البيتين، و نص الجميع:

إني لأكتم من علمي جواهـــره	كي لا يرى العلم ذو جهل فيفتتنـا
و قد تقدم في هذا أبو حســـن	إلى الحسين و وصى قبله الحسنا
يا رب جوهر علم لو أبوح بـــه	لقيل لي أنت ممن يعبد الوثنـــا
و لاستحل رجال مسلمون دمي	يرون أقبح ما يأتونه حسنـــا

[2] أنظره في المستدرك، للحاكم النيسابوري (كتاب الأدب) 4: 301 رقم 7780. جامع الأحاديث و المراسيل (الإكمال من الجامع الكبير) حرف الهمزة 3: 130 رقم 7714. منتخب عبد بن حميد 1: 225 رقم 675.

[3] سورة البقرة، الآية 229.

[4] أنظر جامع الأحاديث و المراسيل (حرف الهمزة مع النون) 2: 225 رقم 5019 (حرف الحاء المحلى بأل) 4: 249 رقم 11400. الفتح الكبير في ضم الزيادة إلى الجامع الصغير (حرف الهمزة) 1: 298 رقم 3020. كنز العمال، للمتقي الهندي (المجلد العاشر) 1: 1981 رقم 28742.

الخطب و المواعظ و العهود و مدح النبي صلى الله عليه و سلم و آله و صحبه ورضي الله عنهم. و الثاني مباح مبذول و هو ما كان في القصص و الرثاء والرسائل و نحو ذلك. و الثالث مذموم مرذول. و هو على ضربين. أحدهما ما نسبه الله لنفسه ونعوذ بالله ممن ينقله إلى نفسه. كما نقل عن أحد أمراء بني مروان أنه وقع على بطاقة فيها شكاية من بعض عماله قال فيها: إن إلينا إيابهم ثم إن علينا حسابهم[1]. ثانيهما تضمين آية في هزل و نعوذ بالله من ذلك كقول بعض الشعراء:

أوحى إلى عشاقه طرفه	هيهات هيهات لما توعدون
وردفه ينطق من خلفــه	لمثل ذا فليعمل العاملـــون[2]

و قول ابن نواس:

خط في الأرداف سطر	من بديع الشعر موزون
لن تنالوا البر حتـــــى	تنفقوا مما تحبـــــــون[3]

و هذا حرام يخشى على فاعله الكفر. و مما صرح به فقهاؤنا بأنه لا يجوز ما كان على ضرب مثل في المجاوبات. كما فعلته امرأة من أهل التصوف. قال الشيخ الزرقاني: و انظر هل المعنى لا يجوز الحرمة أو الكراهة. إهـ...

الفائدة الثانية في قوله: و من جزيل طوله براعه استهلال و هي في البديع الإتيان في أول الكلام بما يُشْعِر بمقصوده. يكون المطلع في النظم دالا على ما بنيت القصيدة عليه من غرض الشاعر كقول أبي تمام:

السيف أصدق إنباء من الكتب	في حده الحد بين الجد و اللعب[4]

لما كان بناه على الفتح و التحريض على الحرب. و كقولنا في مطلع مرثية:

---

[1] سورة الغاشية، الآية 26.

[2] البيتان للشاعر محمد بن حمير الهمداني، المتوفي سنة 651 هـ، أحد شعراء اليمن، من قصيدة نونية تقع في 45 بيتا، قال في مطلعها:

لون الرياحين و لين الغصون	أرخص مني كل دمع مصون
و عاذلي في لومه عاذلـــــي	قلت لقد هونت ما لا يهـــون

[3] قريب منه قول العلامة الشاعر عبدالله بن محمد المعروف بابن السيد البطليوسي:

قل لقوم لا يتوبـــون	و على الإثم يصرون
خففوا ثقل المعاصي	أفلح القوم المخفـــون
لن تنالوا البر حتـــى	تنفقوا مما تحبـــون

[4] البيت للشاعر العربي أبي تمام، افتتح به قصيدة بائية تقع في 71 بيتا

ما بال صبرك بعد الحزم قد بهرا   و دمع نوحك طوفانا علام جرا[1]

و النثر كذلك كقول ابن خاقان في مطلع خطبة القلائد[2]. الحمد لله الذي راض لنا البيان. حتى انقاد في اعنتنا و شاد مثواه في أجنتنا. و كقول ابن حبيب الحلبي في أول خطبة كتابه نسيم الصبا[3]، أما بعد حمد الله الذي أعلى مقام أهل الأدب. و منه خطبة هذا الشرح. و إنما قيل لها براعة استهلال[4] لأن البراعة من بَرَعَ الرجل أي فاق أصحابه في العلم و غيره. و الاستهلال من استهل وجه الرجل إذا تلألأ من فرحه. فكما أن هذين المعنيين يدلان على فَوَقَانِ صاحبهما المتلبس بهما كذلك الكلام الذي في أوله ذلك قد فاق غيره مما لم يكن ذلك فيه. ثم إن براعة الإستهلال في كلام الناظم من قوله طوله لأن من أبحر هذا العلم بحر الطويل. فأتى بالطول الموافق للطويل في المادة لأجل براعة الإستهلال. لكن هذه البراعة هنا ناقصة غير تامة. فلذلك أثبت الناظم في طرره بدل هذا البيت قوله:

حمدا لمن بسط أبحر النعم   و من مديد طوله يؤتي الحكم

قال الناظم هذا البيت أولى مما في الأصل لما فيه من براعة الاستهلال صدرا وعجزا. و عليه ثبتت الأصول المروية عني و بالله التوفيق. إهـ...

فبسط من البسط أي النشر. و يقال بسط و بصط. بالسين و الصاد. أي نشره و بأنه نصر. و البسط أيضا ضد القبض. و لله در القائل في القبض و البسط:

و في قبض كف الطفل عند ولادة   دليل على الحرص المركب في الحي
و في بسطها عند المماة إشـــارة   ألا فانظروني قد خرجت بلا شـــــي[5]

---

[1] من قصيدة للمؤلف رثى بها شيخه العلامة سيدي عبد المالك الضرير العلوي المتوفي سنة 1318 هـ.

[2] إشارة لكتاب: قلائد العقيان في محاسن الأعيان، لأبي النصر الفتح بن عيسى بن خاقان القيسي، المتوفي قتيلا سنة 535 هـ، قال عنه صاحب كتاب كشف الظنون: جمع فيه من شعراء المغرب طائفة، و ذكر أشعارهم، و جعله على أربعة أقسام، الأول في الملوك، الثاني في الوزراء، الثالث في القضاة و العلماء، الرابع في الأدباء و الشعراء.

[3] نسيم الصبا: من مؤلفات الحسن بن عمر ابن حبيب الحلبي، نسبة لمدينة حلب بسوريا، توفي سنة 779 هـ.

[4] براعة الاستهلال: معناها أن يأتي الكاتب في صدر المكاتبة بما يدل على عجزها، فإن كان الكتاب بفتح أو ظفر أتى في مستهله بما يدل على التهنئة، و إن كان لتعزية أتى في أوله بما يشير إلى المواساة، أو في غير ذلك من المعاني أتى في أوله بما ينص عليه، ليعلم من مطلع الكتاب ما المراد و الغاية منه.

[5] البيتان لمولانا علي كرم الله وجهه

و ستأتي زيادة في ترجمة البسيط على مادته إن شاء الله تعالى. و قوله الجمع يقال **نظمت** العقد أي جمعت لآلئه. و نظمت القوم ألفت بينهم. و كثر استعماله في جمع مخصوص. كجواهر العقد وكلم الشعر على وجه يستحسن. و في البردة:

فالدر يزداد حسنا و هو منتظم   و ليس ينقص قدرا غير منتظم[1]

و قلت في منهج الدراية في نظم النقاية:

العلم بالنظم يروق معنى   كالدر بالنظم يفوق حسنا[2]

و أما في الإصطلاح فهو ما ذكره الناظم و كتب عليه في الطرر ما نصه: هذا أحد حدود النظم وهو أسلمها. و إنما قدمت حده على حد الشعر لكونه كالجنس في تعريف الشعر و لأعميته أيضا. إهـ.. و ما حد به الناظم النظم هو في الجملة مثل حد أبي بكر القللوسي. و هو كما في ابن مرزوق[3]: الكلام الموزون الذي قصد وزنه فارتبط لمعنى وقافية. فما من قوله ما قصدت بمعنى القول الشامل لكلام العرب و غيرهم. وقوله قصدت فيه وزنا يخرج به الكلام المنثور و المتزن من غير قصد. كما وجدت آيات من القرآن و شيء من كلامه صلى الله عليه و سلم كذلك كما سيأتي إن شاء الله بسط ذلك في حد الشعر. لكن اختصاص النظم في الإصطلاح بالموزون بحث فيه الشيخ ابن مرزوق بأن ظاهر كلام الأئمة إطلاقه على تأليف الكلام مطلقا كما هو معناه لغة. ولذا يوجد في إطلاقاتهم مضافا للقرآن. فيقولون من وجوه المجاز نظمه إهـ... و يجاب عنه بأن المقصود بالموزون ما كان موزونا بميزان مخصوص. و أما ما يدخل في مطلق الوزن فيخرج بقوله قافية. لأن الكلام المسجع الداخل في معنى الوزن الذي هو تساوي نسبتين عددا و ترتيبا يقال في ما هو فيه كقافية الشعر فاصلة لا قافية. و يخرج به أيضا الموزون الغير المقفى مثل قولنا:

رب فتى كنت به مولعا   و هم قلبي به قد كان منفرجـا
أهملته لما غدا متشاركا   في الحب بين مبغضي و بيني

و يخرج بقوله: و معنى ما لا معنى له من الكلام كالبيت الثالث من قول القائل:

---

[1] هو البيت السابع و الثمانون من بردة المديح للإمام الشيخ محمد بن سعيد البوصيري

[2] هو البيت الثامن و الثلاثون من منظومة منهج الدراية في نظم النقاية للمؤلف العلامة سيدي أحمد سكيرج

[3] محمد بن أحمد ابن مرزوق العجيسي، فقيه أديب وزير مغربي. له مؤلفات كثيرة. منها المفاتيح المرزوقية في شرح الخزرجية. و المسند الصحيح الحسن من أخبار السلطان أبي الحسن. وإيضاح المراشد فيما تشتمل عليه الخلافة من الحكم و الفوائد. أنظر ترجمته في جذوة الإقتباس، لابن القاضي 1: 225_227. رقم الترجمة 194. الأعلام للزركلي 5: 328_329. شجرة النور الزكية، لمخلوف 1، 340_341 رقم 877.

وجهك يا عمرو فيه طـــول	و في وجوه الكلاب طول
و الكلب يحمى على الموالي	و لست تحمى و لا تصول
مستفعلن فاعلن فعولـــــن	مستفعلن فاعلن فعـــــول
بيت كما أنت ليس فيـــــه	معنى سوى أنه فضـــول[1]

و الحق أن ذلك كله أيضا نظم. و أما الشعر في اللغة فقد تقدم الكلام عليه. و اصطلاحا هو النظم من كلام العرب. أو ما وافقه وزنا و مهيعا كما قاله الشيخ أبو بكر القللوسي. و نقله الشيخ ابن مرزوق. و عقده الناظم في بيته. و كتب بطرته عليه بهذا حده القللوسي. و قد علمت جمعه ومنعه إهـ.. فالنظم جنس. و من كلام العرب يخرج نظم غيرهم. و قوله أو من تلاهم. أي تبعهم فمن بعدهم بكلام عربي، و هو شعر المولدين، و غيرهم ممن لم تكن العربية فيهم سليقية، فيخرج نظم غير العرب ممن لم يتكلم بالعربية. فلا يقال فيه شعر. و هذا الحد للشعر الذي عقده الناظم في بيته كعقده لحد النظم هما معا للقللوسي. و قد قال في حده للشعر الشيخ ابن مرزوق: هو حد النظم بعينه. إلا أنه خصصه بنظم العرب. و زاد ما وافقه من المولدين. فلم يحصل له ما قصد من التفرقة بين العام و الخاص. إهـ..

أقول يجاب عن ذلك بأن عموم النظم من كونه يكون عربيا و عجميا. بخلاف الشعر فإنه خاص بكونه لا يكون إلا من كلام العرب. أو من تبعهم كما تقدم. على أن التفرقة بأدنى شيء تعتبر. وهذا الحد أحسن من غيره. حتى من حد الخليل أحمد. فإنه حده بقوله: ما وافق أوزان العرب. فيرد عليه أنه يقتضي أن أوزانهم ليست شعرا. بل هو ما وافقها هو الشعر. و من حد قدامة[2] فإنه قال فيه: الشعر قول موزون مقفى. إهـ.. فإنه يرد عليه أن نظم العجم شعر و ليس كذلك. و يرد عليه الكلام الغير المفيد المنظوم بأنه شعر و ليس كذلك. وحد بعضهم الشعر بأنه كلام ذو وَزن مستعمل وقافيه مقصود به ذلك. و يرد على هذا ما ورد على ما قبله يليه. وحده بعضهم بقوله الشعر هو ما كان على وزن من أوزان العرب الستة عشر. و كانت خاتمة كل بيت منه بنفس خاتمة سواه. و يرد عليه بما رد على ما قبله إلى غير ذلك.

ثم اعلم أن لفظ **<u>العرب</u>** في قول الناظم العرب بفتحتين و هم من يتكلم باللغة العربية سجية و سليقة. و العربية هي ما كان على طريقة القرآن و كلام الرسول صلى الله عليه و سلم. و يقال فيه أيضا العرب بضم العين و إسكان الراء. و هذان اللغتان في

---

[1] الأبيات للشاعر العربي ابن رومي، من قصيدة هجائية تقع في 28 بيتا. قال في مطلعها:

يا سيدا لم تزل فـــروع	من رأيه تحتها أصول
أمثلُ عمرٍو يسوم مثلي	خسفا و أيامه تطـــول

[2] قُدامة بن جعفر البغدادي، من علماء العصر العباسي، يضرب به المثل في البلاغة، توفي سنة 337 هـ، من مؤلفاته جواهر الألفاظ. و نقد الشعر. و الخراج. و نزهة القلوب. و البلدان. و زهر الربيع. و غيرها. أنظر ترجمته في الأعلام للزركلي 5: 191. النجوم الزاهرة لابن تغري بردي 3: 297.

ضده الذي هو العجم. و هو من تكلم بغير اللغة العربية سجية و سليقة. وإلا فسكان البوادي منهم كما في القاموس و غيره. و أسقط الكرماني لفظ منهم فقال: العرب جيل من الناس. و النسبة إليهم عُرابي. و هم أهل الأمصار والأعراب سكان البادية خاصة. و النسبة إلى الأعراب أعرابي. لأنه لا واحد له. و ليس الأعراب جمع للعرب. إهـ.. إذ لو كان جمعا له لكانت النسبة إلى الأعراب عربي، لأنه ينسب للواحد لا للجمع. قال ابن مالك:

و الواحد اذكر ناسبا للجمع[1]

فيحصل أن العربي هم سكان الحاضرة ممن يتكلم بالعربية كالنبي صلى الله عليه وسلم. فهو عربي. و إن الأعراب هم سكان البادية من العرب خاصة. و قيل سكان البادية مطلقا سواء كانوا ممن يتكلم بالعربية أو بالعجمية.

و أول من تكلم بالعربية سيدنا إسماعيل عليه السلام. فقد روى الشيرازي في الألقاب بسنده إلى النبي صلى الله عليه و سلم أنه قال: أول من فتق لسانه بالعربية إسماعيل عليه السلام و هو ابن أربعة عشرة سنة[2]. و نقل مثله الزركشي في البحر عن ابن عباس. و لفظ الجامع الصغير: أول من فتق لسانه بالعربية المبينة إسماعيل و هو ابن أربعة عشرة سنة. ولا ينافي هذا ما في كتب اللغة أن أول من تكلم بها يعرب بن قحطان. و أنه هو أول من تحول لسانه عن السريانية إلى العربية. فكان يتكلم بهما معا. و هو قبل إسماعيل كما هو مقرر في التواريخ. لأن المراد بالعربية التي فتق لسان إسماعيل بها عربية قريش التي نزل بها القرآن العربي المبين. كما تدل عليه رواية الجامع الصغير من وصف العربية بالمبينة. و هي التي يقال فيمن تكلم بها العرب المستعربة.

قال في المصباح: يقال العرب العاربة هم الذين تكلموا بلسان يعرب بن قحطان، وهو اللسان القديم. و العرب المستعربة هم الذين تكلموا بلسان إسماعيل بن إبراهيم عليهما السلام. و هي لغة الحجاز و ما والاها. إهـ.. قال ابن كثير: قيل إن جميع العرب ينتسبون إلى إسماعيل، و الصحيح المشهور أن العرب العاربة قبل إسماعيل. و هم عاد و ثمود و طسم و جديس و جرهم والعماليق. و أمم أخرى لا يعلمهم إلا الله. كانوا قبل الخليل عليه السلام و في زمنه أيضا، و أما عرب اليمن فالمشهور أنهم من قحطان و الله أعلم بالصواب.

---

[1] البيت من ألفية ابن مالك، و هو الشطر الأول من البيت رقم 878، و تتمته كالتالي:
و الواحدُ اذكرْ ناسبًا للجمع إن لم يشَابِهْ واحدًا بالوضع

[2] أنظر المستدرك للحاكم النيسابوري (كتاب تواريخ المتقدمين من الأنبياء و المرسلين) باب أول من نطق بالعربية إسماعيل 2: 602 رقم 4077. جامع الأحاديث و المراسيل، حرف الهمزة مع الواو 3: 302 رقم 8770. فيض القدير لشرح الجامع الصغير للمناوي، حرف الهمزة 3: 93 رقم 2837. الفتح الكبير في ضم الزيادة إلى الجامع الصغير، حرف الهمزة 1: 470 رقم 4693. كنز العمال للمتقي الهندي، المجلد الحادي عشر 1: 2306 رقم 32309.

قوله: **و الخطاب الفصل** أي الكلام الفاصل بين الحق و الباطل و في هذه الجملة مع ما قبلها في وصف النبي صلى الله عليه و سلم اقتباس بالمعنى من قوله تعالى في سيدنا داوود عليه السلام: وآتيناه الحكمة و فصل الخطاب[1]. و لا شك أنه صلى الله عليه وسلم أفضل منه و من سائر الأنبياء. أما غيرهم فمن باب أولى. و اختلف في فصل الخطاب على أقوال. فقيل هو إما بعد و عليه فمعناه أن النبي صلى الله عليه و سلم أفضل ممن نطق بها. فهو صلى الله عليه و سلم أفصح الفصحاء. كيف لا و هو صلى الله عليه و سلم لا ينطق عن الهوى[2]. و قال عليه السلام: أوتيت جوامع الكلم واختصر لي الكلام اختصارا[3]. و قيل فصل الخطاب هو البينة على المدعي واليمين على من أنكر. و في هذه براعة استهلال أيضا.

قوله: **خير خلقه** خير مخفف بحذف الألف كما قال في الكافية:

و غالبا أغناهم خير و شر عن قولهم أخير منه و أشر

و معناه أفضل. و خلق مصدر بمعنى مخلوقاته. و لا شك أنه صلى الله عليه و سلم أفضل من كل ما خلق الله بإجماع أهل السنة. و لا اعتبار بمن خالفهم من المعتزلة:

و ليس كل خلاف جاء معتبرا إلا خلاف له حظ من النظر[4]

و مما استدل به بعض المعتزلة مردود عليه كما هو مبسوط في غير ما كتاب.

قوله: **و خاتم** هو بفتح العين و كسرها. و فيه لغات.

قوله: **و رسله** جمع رسول. و هو في العرف كل إنسان أوحي إليه بشرع و أمر بتبليغه.

---

[1] سورة ص، الآية 20.

[2] إشارة لقوله تعالى: و ما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى، سورة النجم، الآية 4.

[3] إشارة للحديث الذي رواه الإمام مسلم في صحيحه عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه و سلم قال: فضلت على الأنبياء بست، أعطيت جوامع الكلم، و نصرت بالرعب، و أحلت لي الغنائم، و جعلت لي الأرض طهورا و مسجدا، و أرسلت إلى الخلق كافة، و ختم بي النبيون. إهـ.. صحيح مسلم (كتاب المساجد و مواضع الصلاة) باب فضلت على الأنبياء بست،رقم 1119.

[4] البيت للعلامة الأديب سيدي حمدون بن الحاج السلمي، قاله ضمن قصيدة رائية افتتحها بقوله:

هل يا سعاد أراك لي مساعدة مُطَوَّلُ السعد فيك غير مختصـر

و هل ترد ليالينا التي سلفـت هيهات لا بد من صفو و من كدر

و قوله: **أنبيائه** جمع نبي بالهمز و بلا همز. و له جمع آخر، و هو نبئاء، و منه قول العباس بن مرداس يمدح النبي صلى الله عليه و سلم:

يا خاتم النبئاء إنك مرسل[1]

قوله: **أولى السماحة** أي الجود، و لا شك أنهم رضي الله عنهم هم أهل الجود الحقيقي. حيث جادوا بأنفسهم في الذب عنه صلى الله عليه و سلم، و لا شيء يفي بمجازاة أهل السماح إلا رحمة الله و إكرامهم بدخولهم لجنته. و رحم الله القائل:

مجازاة السماحة دار خلد   و أمن من عذاب يوم بـــوس
و ما نار بمحرقة كريمـا   و لو كان الكريم من المجوس

قوله: **البذل** بالذال المعجمة الإعطاء. فهو من عطف التفسير على ما قبله. و هو من صفات الكمال التي تسود بها الرجال. قال الشاعر:

ببذل و حلم ساد في قومه الفتى   و كونك إياه عليك يسير

قوله: **و جيز** أي مختصر جدا مع المعاني الكثيرة، مأخوذ من الإيجاز، و هو قلة الألفاظ و كثرة المعاني ضد الإطناب و الإسهاب.

قوله: **قصدت فيه**. إلخ.. هذا المهيع الذي سلكه الشارح في شرحه هو من المقاصد التي يحمد تأليفها، و ذكر بعضهم أنها سبعة أمور أشار لها أبو العباس الهلالي بقوله:

أبدع تمام بيان لاختصارك في   جمع و رتب و أصلح يا أخي العملا

قوله: **متوقيا** أي متحيرا و متحفظا على النقول المساعدة لعبارة هذا الرجز.

قوله: **و إشارته** من عطف التفسير على قوله رمزه و الرمز الإشارة، و منه قوله تعالى: قال آيتك أن لا تكلم الناس ثلاثة أيام إلا رمزا. [2]

---

[1] البيت للصحابي العباس بن مرداس السلمي، ابن الشاعرة الخنساء، توفي في خلافة عمر بن الخطاب سنة 18 هـ، و البيت المذكور هو مطلع قصيدة كافية قالها في مدح رسول الله صلى الله عليه و سلم، و اختتمها بقوله:

و بنو سليم معـــقون أمامـــه   ضربا و طعنا في العدو دراكا
يمشون تحت لوائه و كأنهـــم   أسد العرين أردن ثَمَّ عراكـــا
ما يرتجون من القريب قرابـة   إلا لطاعة ربهم و هواكـــــا
هذي مشاهدنا التي كانت لنـا   معروفة وولينا مولاكـــــا

[2] سورة آل عمران، الآية 41.

قوله: **متجافيا**. إلخ.. التجافي هو التباعد. و هذا الذي وعد الشارح به كاد أن ينساه في مبادئ هذا الشرح. فقد طول في المقدمة مع التعريف بالناظم. و الكلام على الحمد لله و إن كان ذلك من الأمر المستحسن المحمود. و إخلال التأليف به خلل. إلا أن وضع ذلك فيما مهيعه الاختصار يؤدي إلى التطويل ...